هداية ربى عند فقد المربي

للحافظ العلامة على بن حسام الدين الشهير
بالمتقى صاحب كنز العمال

﴿ الطبعة الأولى ﴾

— بمباشرة مس عبدالله السرباى —

﴿ طبع على نفقة ﴾

شركة الاسلام

(بمكة المشرفة سنة ١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م)

المطبعة الجمالية بحارة الروم — بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء وآلهم وصحبهم أجمعين . « أما بعد » فيقول احقر عباد الله على بن حسام الدين الشهير بالمتقى هذه رسالة سميتها :

﴿ هداية ربي عند فقد المربى ﴾

كالشرح للرسالة المسماة — سلوك الطريق اذا فقد الرفيق — قال سيدى احمد زروق رحمه الله ناقلا عن شيخه ابى العباس الحضرمى رضى الله عنه : « ان نفعت التربية بالاصطلاح ولم يبق الا الافادة بالهمة والحال ، فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان ، جادّ في معاملة الحق والنفس والخلق . فامّا معاملة الحق فثلاث : اقامة الفرائض ، واجتناب المحرمات ، والاستسلام للاحكام . وأما معاملة النفس فثلاث : الانصاف في الحق ، وترك الانتصاف لها ، والحذر من غواياها في الجلب والدفع والرد والقبول والاقبال والادبار . واما معاملة الخلق فثلاث : توصيل حقوقهم لهم ، والتعفف عما في

أيديهم ، والفرار عما يغير قلوبهم الا في حق واجب لا محيد عنه انتهى كلام الشيخ رضي الله عنه في غاية الاختصار . »

قلت الخصال التي اذا لم يجد الطالب مرشدا يربيه تنوب مناب المرشد في الجملة ان شاء الله تعالى هي : المجاهدة والتقوى والعلم مع العمل والزهد وكذا العقل الاكتسابي في الجملة . فهذه الخصال وان كان بعضها مع بعض متحدا اصطلاحا فجملتها تصلح لتحصيل المقصود ان شاء الله تعالى . ورد في القرآن المجيد: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا ـ واتقوا الله ويعلمكم الله ـ ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » . وفي السنة : العلم حياة الاسلام وعماد الدين ومن علم علما اتم الله أجره ومن تعلم فعمل علّمه الله مالم يعلم، اخرجه ابو الشيخ عن ابن عباس . وأيضا : من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى ، اخرجه احمد عن علي وأيضا : هل منكم أحد يُريد أن يؤتيه الله علما بغير تعلّم وهدى بغير هداية ، هل أحد منكم يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ، ألا من رغب في الدنيا وطال فيها أمله اعمى الله تعالى قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الحديث . وأيضا : اذا رأيتم الرجل قد اعطي

زهدا فى الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة ، اخرجه احمد والبيهقى عن أبى هريرة . وأيضا : ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه الى هدى أو يرده عن ردى ، اخرجه البيهقى عن عمر

واعظم خصلة أى وسيلة لحصول المقصود الموت الاختيارى واليه يشير : موتوا قبل أن تموتوا ، وعد نفسك من أصحاب القبور ، ودع نفسك وتعال . ونحن نتكلم فى فوائد هذه الخصلة إن شاء الله تعالى

(فمن فوائدها) : انها اصل الاعمال وخلاصتها ولذلك يصح ان يصفها هذه الصفة التى هى المعجون التام لانواع الاسقام اعلم ان الاغلب عند الاطباء ان لكل داء دواء منفرد لكن اذا كان الطبيب حاذقا كاملا فى صنعته صنع معجونا لامراض كثيرة متنوعة فالموت الاختيارى معجون لانواع الاخلاق المذمومة ـ وذكر فى كتب القوم لكل ذميمة علاج على حدة مثلا علاج الكبر التواضع وعلاج البخل السخاء وعلاج الحرص القناعة الى غير ذلك فالموت الاختيارى علاج لجميع الذمائم لأن الميت لا تنشأ منه ذميمة ولا مألوف

(ومن فوائدها) : انها افضل الاعمال ومخففة الاثقال أمّا أفضليتها فلأن غيرها من الاعمال له جزء معلوم وثواب محدود بخلاف هذه الخصلة فان من بذل روحه لله تعالى فديته مولاه كما

ورد حكاية عن الله تعالى: ومن قتلته فانا ديته ، ومن له المولى فله الكل
واما تخفيفها الاثقال فلأن الشخص متى عزم على التحقق بهذه
الخصلة فبمجرد هذا العزم يزول عنه ان شاء الله تعالى هم الرزق
والاهل والعيال وكل هم له فى الدنيا ولهذا المعنى حَسُنَ فى تسميتها
خير العمل مراقبة الاجل ، أو العمل المختار ترك الاختيار

(ومن فوائدها) : انها شبهت بالاكسير فيقال فيها اكسير
الارادة لكيمياء السعادة ـ اعلم ان الموت الاختيارى من جملة
الارادة وشبه بالاكسير لان خاصية الاكسير اذا طرح على فلذة
نحاس صارت ذهبا فزادت قيمة ورتبة عما كانت فصاحب الموت
الاختيارى اذا عمل عملا لاشك أن عمله يكون خالصا لله منزها عن
العيوب والرياء فقيمة هذا العمل بالنسبة الى عمل المرائى والمعجب
زائدة بمراتب بل عمل المرائى مردود غير مقبول يستحق العقوبة عليه
وللتشبيه وجه آخر وهو ان صاحب الكيمياء الدنيوية اذا قصد
أمرا بلغه حتى لو أراد سلطنت العالم بلغها فكذا صاحب موت
الاختيارى يصل الى مراده فيما أراد

(ومن فوائدها) : انها قليلة المؤنة كثيرة المعونة فان الموت
الاختيارى من جملة الارادة والخواطر ولا مشقة فى ذلك بخلاف

سائر الاعمال من الصلاة والصوم والتلاوة والذكر ففيها آداب الجوارح - وكونه اكثر معونة فيما ذكر فى أفضل الاعمال فانظره هناك ويعبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى وهى : جلب النفع الخطير ببذل الشيء الحقير جاب . وتوضيح هذا المعنى ان يعلم ان جسد الآدمى من شأنه ان ينتن بعد الموت فاذا بذل الشخص ذاته لله تعالى مع ان الله تعالى قال « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بانّ لهم الجنة » فكانه بذل اليسير الذي لا قيمة له وهو جسده المذكور فى مقابلة الكثير وهو ملك الابد وحياته وفى هذا المعنى امن من جيفة الابد من ترك جيفة الجسد ، أو يقال ترك الخسيس لجلب النفيس ، أو يقال الحياة الهنيئة فى اماتة النفس الدنيئة ، أو يقال السعادة كل السعادة قتل النفس بالارادة . اعلم ان قتل النفس على نوعين احدهما بالسيف ونحوه وثانيهما بالاماتة الاختيارية فقتلها بالاول وان كان من جملة السعادة فجهاد اصغر اماقتلها بالثانى فجهاد أكبر فحسن ان يقال فيه : قتل النفس بسيف الطاعة ساعة فساعة ، او يقال قتل النفس بالاعلام والايهام لا بالسيف والسهام ، او يقال نعم الشجاعة والتهور قتل النفس بسهم التصور . وهو على أنواع تصور يومك انه آخر ايامك وعبادتك كصلاتك انها آخر قرباتك وثيابك انها كفنك وسريرك

انه تابوتك وبيتك انه قبرك وسائر حالاتك بحيث توافق
حالات الموتى فمن داوم على نحو هذه التصورات يرجى له الموت
الاختيارى انشاء الله تعالى . أو يقال فيها نيل الجنان والأرزاق من
غير دم يراق . اعلم ان ملوك الدنيا اذا أرادوا أن يتملكوا بلداً أو
قرية ربما يهرقوا دماء لا تحصى بخلاف ملك الابد فانه ينال بلا اهراق
دم بل بمجرد عزم وخاطر استقر فى الشخص

(ومن فوايدها) : ان من حصلها تجمع له الدنيا والآخرة
بالجملة ان شاء الله تعالى . وفى هذا المعنى يقال تنظيف الباطن لمن
هو فى مزبلة الدنيا قاطن . اعلم ان الواقع فى مزبلة منتنة اذا أراد
الخلاص من ضرر نتنها فله حيلتان الأولى أن يخرج عنها ويغسل ثيابه
وبدنه ثم يتطيب والثانية وهى أشد وأتعب وهو أن يقيم فى تلك المزبلة
ويعالج بما يزيل نتنها بالريح الطيب وهو الموت الاختيارى فمن تحقق
به من أهل الدنيا وان كان أميرا أو وزيرا لا تضره الدنيا فى الجملة
ان شاء الله تعالى وقد حكي عن بعض الخلفاء انه نصب شخصا يقوم كل
يوم عند مواجهته معه كفن فى يده وينادى رافعا صوته : ياأمير المؤمنين
الموت حق . وفى هذا المعنى يقال : ارشاد الملوك فى السير والسلوك
أو يقال الحبل المتين لاصطياد الدنيا والدين ، أو يقال المتجر الهنى للفقير

والغنى ، أو يقال جمع ضرتين لمن ولدمرتين . اعلم ان في عرف الناس جمع ضرتين مشكل فمن اختار الموت الاختيارى بأن انسلخ عن أوصاف البشرية وتخلق بأخلاق الملائكة فكأنه ولد مرتين كما قيل لن يلج ملك السموات من لم يولد مرتين فمن تحقق بالموت الاختيارى يرجى له الجمع بين الضرتين الدنيا والآخرة في الجملة انشاء الله تعالى

(ومن فوائد) هذه الخصلة : أنها طريق معقول يسلك بالقلب لا بالقدم . فيقال فيها سلوك بلاقدم تخيل الوجود كالعدم ، أو يقال مسلك الايمان واليقين طريق ليس فيها حجر ولا طين ، أو يقال طريق المرجع والمعاد لا يحتاج الى الراحلة والزاد ، أو يقال طريق الجائع والعريان بلاقوافل وركبان ، أو يقال طريق المفردين في الخلوات لا المكثرين في الفلوات ، أو يقال طريق الفنى والمحو لا طريق العقل والصحو ، أو يقال طريق الخمول والفناء لا طريق الشهوة والثناء ، أو يقال جنس نباؤه عجيب يوصل الحبيب الى الحبيب ، أو يقال بناء يهدم اللذات يرفع القدر والدرجات ، أو يقال مطلب مقصود بالعرض لكن موصل الى الغرض . اعلم ان من القواعد المعلومة ان الاشياء الوجودية تحصل بآلات وجودية مثلا السرير لابد في تحصيله من الآلات كالقدوم ونحو ذلك فتحصيل شئ وجودى بشئ عدمي

عجيب فالموت أمر عدمى عجيب وفى هذا المعنى يقال من أعجب الصفات فى الكمى كسب الوجودى بالعدمي ـ الكمى ـ هو الشجاع فالشجاع لما بذل روحه فى الجهاد الاصغر نال حياة الابد فمن بذل روحه فى الجهاد الاكبر الذى هو قتل ساعة فساعة فحقيق أن ينال حياة الابد

(ومن فوائدها) : انها عمل مستمر لا تتخلله فترة ولو كان صاحبه نائما بخلاف سائر الاعمال فانها لا تخلو من فترة ، ولهذا المعنى يحسن أن يقال فيه : ورد النائم للسير الدائم، أو يقال عمل بلا توانى اختيار التولد الثانى ، أو يقال حيلة الصريع للسير السريع

(ومن فوائدها) : انها عمل خفى يقترن بها بالاخلاص والقبول فيقال فى هذا المعنى : عبادة كافلة بالاخلاص ضامنة للخلاص، أو يقال عمل من الشرك برى فبالقبول حرى ،أو يقال ذكر قلب بلا لسان جالب الجنان بالجنان

﴿ فصل فى فضائل متفرقة للموت الاختيارى ﴾

من أعظم الكرامات المشي بعد الممات ،فضيلة تحصيلها كالفرض ميت يمشى على وجه الارض ،قتل نسمة ليس فيها اثم بذل الروح

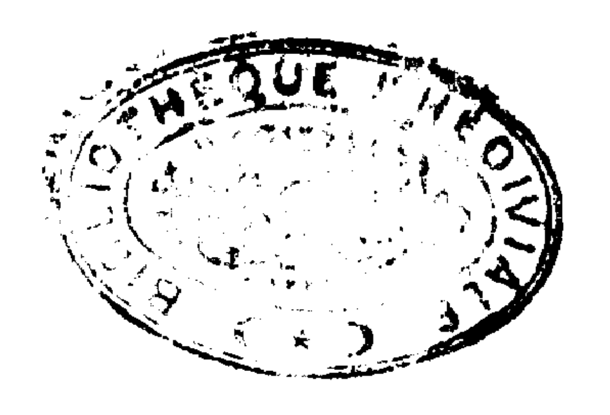
قبل فناء الجسم ، تخليص نفس الاسير بالفداء اجابة دعوى الموت قبل النداء ، ظفر بالعدو وغلب من رجع الى الله قبل الطلب ، قتل يودى بحياة الابد بذل الروح قبل فناء الجسد ، نيل الفتوح ببذل الروح ، جلب الخير ودفع الشر بالخروج عن صفات البشر ، المقام المحمود فى ترك الوجود

﴿فصل فى عبارة تختص فى صفة الخريطة التى ذكرت فى رسالة سلوك الطريق﴾

يعنى انها بمنزلة مذكر نزول الغفلة بسببها . رتيمة الانسان لازالة النسيان ، تميمة عميمة لدفع كل ذميمة ، ترغيب العوام للحضور والدوام ، خدعة بلاشر للفتح والظفر ، تدارك الفوت قبل الموت ، الحيلة والتدبير قبل حلول التقدير ، تذكر السعيد للسفر البعيد ، منادى الرحيل الى قصد السبيل ، مؤذن الصلاة على الميت فما أحسن منادى صيت ، نعم الواعظ والزاجر لكل فاسق فاجر ، نعم الطبيب والدليل لكل مريض عليل ، نعم الصاحب والرفيق اذا لم يوجد الصديق الشفيق ، الحبل العياري للموت الاختياري . اعلم ان العيار يقال لسارق النهار فى بعض البلاد بعض قطاع الطريق يصحبون فى السفر شخصا فاذا وصلوا الي برية يرمون الحبل فى عنقه ويخنقونه بهذا الحبل ويأخذون ما معه فما أشبه هذه

الخريطة لهذا الحبل لاماتة النفس . جلاب الخير لترغيب الغير . يعنى من لازم هذه الخريطة فى عنقه جهارا فلاشك أن يسأله عن كيفيتها فاذا كان السائل طالبا صادقا لزم على المسؤول أن يوقفه على رسالتين اللتين كتبناهما فى فوائد هذه الخريطة فربما يرغب السائل فى تحصيل هذا الأمر وينتفع به فيكون المسؤل أيضا شريكا فى نفعه ثم يقول الفقير الى الله على بن حسام الدين من تحقق بهذه الخصلة يرجى له من الله تعالى أن يهديه بغير مرشد ان شاء الله تعالى فبهذا المعنى يقال فيها هداية ربى عند فقد المربى اما وجود المرشد فكبريت أحمر يحصل من نظره وصحبته فى ساعة واحدة مالا يحصل فى مدة طويلة والله أعلم

تمت الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أبدا ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين


BIBLIOTHEQUE PROVINCIALE